الحركة النقابية ودورها في التعبئة الاجتماعية خلال الثورة الجزائرية

د: عبد الإله بن شرقي
معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية
المركز الجامعي غليزان (الجزائر)

ملخص:
يشكل اندلاع الثورة التحريرية حدثا بارزا، استأنف من خلالها الجزائريون العمل المسلح على أسس جديدة.وعلى هذا الأساس جندت جبهة التحرير الوطني كل القوى الاجتماعية لتدعيم العمل المسلح ومنها المنظمة النقابية، بدءا من سنة 1956، نحاول من خلال هذه المساهمة إبراز الدور الذي لعبته هذه المنظمة في إنجاح الثورة التحريرية
كلمات مفتاحية : الثورة الجزائرية ، المحتل الفرنسي ، المنظمة النقابية ، الإضراب ، جبهة التحرير الوطني.

Résumé
Le déclenchement de la révolution algérienne représente un grand événement en reprenant la lutte armée sur de nouvelles bases . A cet effet le FLN a mobilisé toutes les forces sociales pour soutenir la lutte armée à leur tête. l'organisation syndicale a partir de l'année 1956. Dans cette contribution on essaie de montrer le rôle qu'a joué cette organisation dans la réussite de la révolution algérienne
Mot clés La révolution algérienne , l'occupant français, organisation syndicale, la grève, FLN

مقدمة:
كان النظام الاستعماري يحتقر العمال الجزائريين سواء في الجزائر أو في فرنسا، ويعتبرهم بشرا أُجراء من درجة ثانية، فكانت السلطة الاستعمارية تدجمهم في منظماتها النقابية، تبتز منهم إمكانياتهم، وتخرج هي بالربح، ثمنا للجهد والكدح الذي يقوم به العمال الجزائريون. إلا أن وعي العمال الجزائريين بمصيرهم وارتباطهم بمجتمعهم وتطلعهم لغد أفضل وتحقيق الاستقلال والحرية على المستعمر الغاشم جعلهم يدخلون في تحدي إنشاء حركة نقابية تدافع عن العمال والإطارات الجزائريين من جهة، ودعم الثورة المجيدة سواء داخليا أو خارجيا من جهة أخرى.

1-عوامل ميلاد العمل النقابي في الجزائر:

وقد كانت سياسة الاستعمار في الجزائر وفرنسا في مجال العمل والتوظيف، كعدد ساعات العمل، والأجر غير المتكافئ مع الفرنسيين، والحرمان من التوظيف في قطاعات كثيرة، وحقوق الحماية الصحية والاجتماعية، أسباب دفعت بالعمال الجزائريين إلى تأسيس، والانخراط في النقابات العمالية، فسياسة إبعاد الجزائريين من الوظائف

الإدارية أدى بالمقابل إلى سيطرة المستوطنين على الجزائر، فاحتكر الكولون كل شيء، حتى الصحافة[1] والسياسة الداخلية، وهذا ما أدى إلى المزيد من مصادرة الأراضي وضيع حقوق الشعب الجزائري، وبالتالي حرمانه من حوالي 90% من الوظائف الإدارية في بلاده، بدعوى إعادة تنظيم الإدارة من جديد[2]، فبعد أن كان الجزائريون خلال العهد العثماني فلاحين ملاكين، أصبح أكثرهم خلال الحقبة الاستعمارية عملة مهضومي الحقوق، فأغلب الأهالي تحولوا إلى عمال أو خماسة عند المستعمرين أو عند الفلاحين المسلمين، وحالة هؤلاء الخماسين أشبه شيء بحالة العبيد الأرضيين في القرون الوسطى[3].

يقول "فرحات عباس" في هذا الشأن: "أما الإطارات الإدارية الجزائرية فصارت تذوب وتضمحل، حتى أصبح الأوروبيون أصحاب الحل والعقد، قابضين على زمام الحكم بيد من حديد، فشيدوا صرح نظام اجتماعي جديد، وصارت السيادة لهم والعبودية لنا. استأثروا بجميع الحقوق، استولوا على الوظائف العمومية، وعلى المهن الحرة، فهم يحتكرون التجارة ورؤوس الأموال، ويشرفون على الأمن العمومي، فمنهم الموظف السامي، والمهندس، والأستاذ، وصاحب الأبناك، وصاحب المعامل، والقاضي، والشرطي، وصاحب الدرك، وموظف السكة الحديدية، والبواب، وهلم جرا"[4].

وقد تعرّف العمال الجزائريون على الحركة النقابية في فرنسا، وذلك بانخراطهم في الاتحاديات النقابية والأحزاب اليسارية الفرنسية، كالحزب الشيوعي الفرنسي خاصة، وكان ذلك بدءًا من عام 1919م، يؤكد ذلك مصالي الحاج الأب الروحي للحركة الاستقلالية الجزائرية بقوله: "كنا لا نفهم بالضبط ماهية الإضراب، كنا نعرف فقط أن المضربين توقفوا عن العمل للحصول على الزيادة في الأجور. كنا نجهل كل شيء عن الفكر النقابي، إذ كنا نعتقد بكل بساطة أن العمال يتوقفون من تلقاء أنفسهم عن العمل، دون أن يكونوا في حاجة إلى مسيرين أو إلى منظمة كاملة"[5].

فخلال سنة 1924 نظّم الجزائريون في باريس حملة دعاية واسعة لصالح القضية الجزائرية، فتحت إشراف منظمة تدعى "الاتحاد العالمي" (التي يبدو أنها كانت تحت تأثير الحركة الشيوعية) عقد الجزائريون عدة مؤتمرات، احتجوا فيها ضد الأحوال التي كان العمال الجزائريون يعيشون تحتها في فرنسا[6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900– 1930**، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة (منقحة)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 133.

[2] رابح تركي، **عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر**، الطبعة الخامسة، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2001، ص 38.

[3] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، دون بلد وتاريخ النشر، ص 381– 382.

[4] فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، نقله إلى العربية أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دون تاريخ، ص 97.

[5] **مذكرات مصالي الحاج 1898– 1939**، تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 95.

[6] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900– 1930**، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة (منقحة) ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 313.

وفي 7 ديسمبر 1924 انعقد أول مؤتمر شمال إفريقي في باريس، وكان المؤتمر مؤيدا من الحزب الشيوعي الفرنسي، وقد حضره 150 عضوا يمثلون 75000 عامل من المغرب العربي في باريس، معظمهم جزائريون[1]. وكانت أهداف المؤتمر الرئيسية:

1-العمل لإلغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية.

2-العمل لنيل حق الاجتماع، وحرية الصحافة، والكلمة.

3-تنظيم لقاءات دورية في أوساط الأهالي، وإدراج مشاكلهم في جدول المؤتمرات العامة[2].

ولم يمض وقت طويل حتى شعر العمال الجزائريون بما يلحقهم في هذه المنظمات والهيئات الفرنسية من جور وعنصرية، فبدؤوا ينسحبون منها تدريجيا، وبدأوا ينظمون أنفسهم، ويستقلون عنها، مشكلين منظماتهم وهيئاتهم الخاصة بهم، فحين وجد الوطنيون أعضاء نشطين من بين العمال الجزائريين الذين كانوا في فرنسا منذ عقود، بالإضافة إلى عدد من الجنود المسرحين، والطلبة، قاموا بإنشاء "نجم شمال إفريقيا" بالتعاون مع الزعماء الآخرين لإفريقيا الشمالية، الذي تحوّل شيئا فشيئا إلى منظمة جزائرية خالصة[3]، حيث طالب في مجال الدفاع عن العمال والفلاحين بمصادرة الملكية الفلاحية الكبيرة من يد كبار الإقطاعيين والمعمرين وتوزيعها على الفلاحين، مع احترام الملكية الصغيرة، بالإضافة إلى منح الجزائريين الحقوق السياسية والنقابية مثلهم مثل الفرنسيين الموجودين بالجزائر[4].

بالجزائر[4].

وقد اتبع النجم أسلوب التجمعات وإلقاء الخطب لنشر الدعاية في الأوساط العمالية، وكان هدفه من ذلك تربية العمال الجزائريين في فرنسا اجتماعيا وسياسيا، لتمكنيهم من الدفاع عن وطنهم الجزائر، والخروج من الأوضاع السيئة التي كانوا يعانون منها، وتعليمهم أسلوب الاتحاد والتكاتف، وإعدادهم لخوض المعركة الحقيقية ضد فرنسا[5].

وبعد اندلاع الثورة التحريرية تكوّنت منظمات جماهيرية ومهنية موالية لجبهة التحرير الوطني،كاتحاد العمال الجزائريين، واتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، واتحاد النساء الجزائريات[6]، التي قدّمت دعما متعدد الأوجه للنشاط الثوري.

---

[1] المرجع نفسه، ص 314.

[2] عبد الحميد زوزو، **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919– 1939)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 54.

[3] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 372.

[4] يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919– 1939**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 73.

[5] المرجع نفسه، ص 74- 75.

[6] أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء العاشر 1954- 1962، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 83.

2-الحركة النقابية في الجزائر وقيم نوفمبر المجيد:

وإن تاريخ الحركة النقابية الوطنية بالجزائر يستمد في عمقه مرجعيته من توجهات وقيم نوفمبر التي اعتنقها عيسات إيدير منذ اللحظات الأولى. واهتمام الثورة بتنظيم الشرائح الاجتماعية ليس وليد الصدفة، إنما نابع من إيمان جبهة وجيش التحرير الوطني بضرورة تجنيد وتعبئة كافة طاقات الأمة والمجتمع وتنظيمها وتأطيرها لتؤدي وظائفها وواجباتها، ولم يكن مفهوم الثورة إقليميا أو طبقيا، بل كان شاملا لربوع الوطن، وشاملا لكافة الشرائح الاجتماعية، والعمال باعتبارهم قوة وطنية فاعلة كان لا بد من تنظيمهم في تنظيم خاص، خصوصا وأن العمل النقابي وقتها كان يمارس في ظل التبعية للنقابات الفرنسية، ومن هنا كان ميلاد إتحاد العمال بمثابة الإعلان الصريح للعالم كله عن استقلالية نضالات العمال الجزائريين عن النقابات الفرنسية، وشكّل بالفعل مدرسة وطنية تخرّجت منها إطارات متشبعة بالروح الوطنية المجاهدة[1].

يعتبر عيسات إيدير من الرواد الأوائل الذين فكّروا في الانفصال عن النقابات الفرنسية منذ سنة 1947م، وهو التاريخ الذي بدأ فيه يعمل على إنشاء نقابة وطنية، مما جلب له متاعب وملاحقات الإدارة الفرنسية، حتى ألقي عليه القبض سنة 1951م، وبعد اندلاع الثورة التحريرية المباركة بشهرين زُجّ به في السجن، ومرة أخرى استطاع أن يفلت منه، وواصل نضاله إلى أن أسس في فيفري 1956 أول نقابة جزائرية، ولم يغب نضاله عن أعين العدو، فبعد أقل من ثلاثة أشهر على تأسيس النقابة ألقي عليه القبض من جديد، وبدأت السلطات الاستعمارية تلفق له التهم المختلفة، حتى أودع بين مظليي "ماسو" الذين تفننوا في تعذيبه إلى أن استشهد استشهاد الأبطال[2].

وقد انعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للعمال الجزائريين يوم الأحد 24 فيفري 1956م، في مقر الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، بالقرب من جامع كتشاوة بالجزائر العاصمة، وذلك لتجنيد العمال حول الثورة[3]، حيث برهن العمال الجزائريون على تعلقهم الكبير بالوطن، رغم الرقابة المفروضة عليهم من قِبل السلطات الفرنسية التي كانت ترصد كل تحركاتهم[4]، حيث تولد لديهم الشعور بالظلم والاستبداد والعنصرية التي عانى منها العمال بفرنسا، لهذا جندوا أنفسهم لدعم الثورة. وقد استطاع الاتحاد التوغل بسرعة بين الأوساط الشعبية، وتعبئتها سياسيًا، وتجنيدها وتنظيمها لخدمة أهداف الثورة وتعليماتها، وكانت أشهر تحركات الاتحاد دوره في العديد من الحركات الاحتجاجية، ومنها مساهمته في إضراب 5 جويلية 1956م، وإضراب 1 نوفمبر من نفس السنة، كما ساهم في إضراب الثمانية أيام (28 جانفي إلى 4 فيفري 1957م)، ومن المعلوم أن القوات الفرنسية اعتقلت خمس أمانات عامة للاتحاد بين ماي 1956 وجويلية 1957م، وقد قادها على التوالي عيسات إيدير، ثم محمد

---

[1] محمد الشريف عباس، **من وحي نوفمبر (مداخلات وخطب)**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار الفجر، الجزائر، 2005، ص 177.

[2] المرجع نفسه، ص 177.

[3] بوعلام بن حمودة، **الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها الأساسية**، دار النعمان، الجزائر، 2012، ص 190.

[4] علي هارون، **الولاية السابعة**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 87.

فليسي دكار مرتين، ومحمد شناف، فتوقف النشاط النقابي للاتحاد العام للعمال الجزائريين في جوان 1957م[1]، ليستأنف عمله في عام 1958م.

3-أهداف الاتحاد العام للعمال الجزائريين:

أصدر الإتحاد العام للعمال الجزائريين جريدة (العامل الجزائري) كوسيلة إعلامية تعبّر عن نشاط وأهداف هذه المنظمة الوطنية[2].

ومن الوهلة الأولى حدّد عيسات إيدير أهداف المنظمة فيما يلي:

-تضامن العمال مع الشعب من أجل الاستقلال التام واسترجاع السيادة كاملة غير منقوصة.

-الاعتراف بالشخصية الجزائرية من طرف فرنسا.

-حل النقابات الفرنسية في الجزائر.

-الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية للعمال الجزائريين.

-إلزام فرنسا بالاعتراف بصفة الأجنبي للعمال الجزائريين في المهجر.

-تبديل الاقتصاد الاستعماري باقتصاد وطني[3].

لقد كان للعمال الجزائريين في المهجر دور كبير في تمويل الثورة بـ 60% من الأموال، وقد كانت هذه الأموال بالفعل تمثل عصب النفقات إبان الثورة. وقد تطور هذا الاتحاد، إذ تأسست بفرنسا في فيفري 1957م الوداية العامة للعمال الجزائريين بفرنسا، وهي امتداد عام للعمال الجزائريين، وقد أعادت الوداية إصدار جريدة "العامل الجزائري" في فرنسا، بعد أن أمر "روبير لاكوست" الوزير المقيم الفرنسي بإغلاقها في الجزائر[4]، واستمرت في الصدور بسرية تامة في باريس.

وتجب الإشارة إلى أن المرحوم محمد البجاوي هو الذي أرسى دعائم هذه الوداية، قصد تدعيم "اتحادية جبهة التحرير بفرنسا"[5].

4-الحركة النقابية في الجزائر ونقل الثورة إلى داخل فرنسا:

ولم يكتف العمال عند هذا الحد، بل قاموا بنقل الثورة إلى فرنسا، بعدما كانت تنظر إليهم على أساس أنهم "كمّ مُهمل"، لا همّ لهم سوى البحث عن لقمة العيش، وبلغت أهمية الجالية الجزائرية بفرنسا درجة كبيرة، وأنشأت

---

[1] بوعلام بن حمودة، مرجع سابق، ص 190.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء العاشر، ص 218.

[3] محمد الشريف عباس، مرجع سابق، ص 178.

[4] عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة**، الجزء الأول، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص 353.

[5] سعدي بزيان، **جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 أكتوبر 1961**، الطبعة الثانية، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2009، ص 18.

جبهة التحرير الوطني في فرنسا ما عُرف بـ "الولاية السابعة"، فقد تمثلت هجومات العمال/المجاهدين على مختلف المصالح الاقتصادية، والمنشآت العسكرية، ومعاقل تكرير البترول الفرنسية. بالإضافة إلى ذلك قام العمال بإضرام النار في مختلف الغابات الفرنسية، ردا على قنابل النابالم التي أمر لاكوست بإلقائها على مختلف القرى الجزائرية.

ولعل أكثر العمليات الفدائية جرأة التي قام بها العمال هي عملية إعدام "علي شكّال"، الذي وقع عليه الاختيار ليكون ضمن الوفد الفرنسي في الأمم المتحدة، كي تُقدّم فرنسا بذلك الدليل أمام العالم أنّ الجزائريين هم رعايا فرنسيون يتمتعون بكامل الحقوق ويؤدون كافة الواجبات، وهو واحد منهم يمثل فرنسا نفسها في أعلى منبر دولي للأمم المتحدة، وما زاد في استفزاز مشاعر الجزائريين هو أنّ السلطات الفرنسية أصرّت على "شكّال" أن يرتدي الطربوش، هذا التصرف اعتبر إهانة للشعب الجزائري، ولا يمكن السكوت عليه، فأعلنت جبهة التحرير الوطني حكم الإعدام عليه، وقاد العملية كل من "عيساوي" و"ابن صدوق" و"ابن موهوب". وكان الخائن "علي شكال" يجلس أمام الرئيس الفرنسي "روني كوتي" لحظة إطلاق الرصاص عليه، وكان في مقدور الفدائيين إصابة الرئيس الفرنسي نفسه، وعندما سُئل "ابن صدوق" لِما لم تحاول اغتيال الرئيس الفرنسي؟، أجاب قائلا: "الرئيس الفرنسي يمثل بلاده وشعبه، وله الحرية في أن يتصرف حسب ما تمليه عليه مصلحة شعبه، أما هذا الخائن "علي شكال" فهو يدّعي تمثيله للجزائريين دون رضاهم، وهذا ليس من حقه"، وقد عكست هذه العملية مدى طول ذراع الثورة الجزائرية، ومدى إخلاص الجزائريين لقضيتهم الوطنية[1].

واستمر الاتحاد في تأدية رسالته النضالية رغم الإجراءات القمعية وحملة الاعتقالات، واستشهاد العديد من العمال في سبيل القضية الجزائرية، ورغم انتقاله إلى العمل السري إلا أنه استطاع أن يفرض وجوده كمنظمة نقابية ممثلة لآلاف العمال الجزائريين في الداخل والخارج[2].

خاتمة:

وعليه يمكن القول أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين قد اتصف بالصفات التالية:

أولا: التنظيم الدقيق المحكم الذي عمل على إيجاد وحدة فولاذية بين جميع هيئات هذه المنظمة، ضمنت دائما تنفيذ الخطط والبرامج بدقة متناهية.

ثانيا: المستوى الفكري المرتفع لقادة هذه المنظمة الوطنية، حيث كانوا يتمتعون بمستوى فكري من الناحية السياسية قلّما يوجد مثيله في أي جزء آخر من أجزاء الوطن العربي، فمفهومهم الوطني للحركة النقابية متبلور تماما، وكذلك بالنسبة للاستعمار، ووسائل التخلص منه.

ثالثا: الثورية المتناهية، وهي الصفة التي كانت تتمتع بها الحركة النقابية على عهد الشهيد عيسات إيدير مؤسس النقابة الجزائرية الوطنية، وعضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وصاحب المقولة الشهيرة: "لا يمكن للنقابات التي تخضع إلى المنظمات الأجنبية أن تحقق أهداف الثورة مهما كانت نزاهة أعضائها، فهؤلاء لا يستطيعون التعبير عن

[1] عمار قليل، مرجع سابق، ص 354- 357.

[2] غالي الغربي، **فرنسا والثورة الجزائرية**، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 447.

مصالح العمال الجزائريين الذين هم ليسوا ضحايا أرباب العمل فحسب، بل ضحايا استغلال الإدارة الاستعمارية"[1].

رابعا: العمل الواقعي المدروس البعيد عن كل عاطفة، وجميع الأعمال التي قامت بها منظمة الاتحاد تدل دلالة واضحة على أهمية هذه الصفة، من ناحية قطعها الطريق على مُستغل آثم يحاول استغلال الحركة النقابية.

- **قائمة المراجع:**

1. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة (منقحة) ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء العاشر 1954- 1962، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
3. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، دون بلد وتاريخ النشر.
4. بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها الأساسية، دار النعمان، الجزائر، 2012.
5. رابح تركي، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، الطبعة الخامسة، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2001.
6. سعدي بزيان، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 أكتوبر 1961، الطبعة الثانية، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2009.
7. عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919- 1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
8. علي هارون، الولاية السابعة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
9. عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الأول، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1991.
10. غالي الغربي، فرنسا والثورة الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2012.
11. فرحات عباس، ليل الاستعمار، نقله إلى العربية أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، دون تاريخ.
12. محمد الشريف عباس، من وحي نوفمبر (مداخلات وخطب)، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، دار الفجر، الجزائر، 2005.
13. مذكرات مصالي الحاج 1898- 1939، تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007.
14. يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919- 1939، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

[1] محمد الشريف عباس، مرجع سابق، ص 177.